

# وأدب غسان كنفاني

بقلم أحمد محمد عطية

في الثورة  
الوطنية



ان الاديب مقاتل بالكلمات ، في حرب التحرير . كما كتب «هو شي منه » في رسالة وجهها الى الابداء والفنانين الفيتناميين في مناسبة المعرض الفني لعام ١٩٥١ ، خلال حرب المقاومة الفيتنامية ضد قوات الاستعمار الفرنسي (١) .

وان الفدائي مصلح اجتماعي ، يحمل السلاح تعبيرا عن انتفاضة الشعب ضد مضطهديه . كما ذكر جيفارا (٢) .

ليس امام الشعب الفلسطيني الا طريقان لا ثالث لهما : اما الثورة او الانقراض او التلاشي . كما اعلنت فتح (٣) .

ان كل نقد اجتماعي - مهما كان نظريا او مقصورا على حلقات الاساتذة - انما هو في الوقت نفسه نشاط سياسي ، وعمل اجتماعي . كما كتب ادوارد كارديلي (٤) .

هذه الكلمات هي مرشدنا ودليلنا في دراسة ادب غسان كنفاني كانه نموذج متقدم لادب الثورة الفلسطينية ، وكشاديا الذي لم يكف عن الانشاد من اجلها حتى في احلك فتراتنا واشدها الما .

وينبغي ان نبدأ بمفهوم ما نعنيه بالثورة الفلسطينية ، وبمسيرتها التاريخية ، في اختصار حسبما يسمح المجال ، لتبين مدى وقس خطوات القضية الفلسطينية وتورتها ، على ادب غسان كنفاني .

على ان لهذه الدراسة تحفظا ازاء ادب غسان كنفاني النقدي ، انها موجهة اساسا الى غسان كنفاني كفنان مبدع خلقي ، وليس كناقذ وباحث ادبي . لانه في حين يبلغ الذروة في اعماله الفنية ، تهبط دراساته النقدية كثيرا عن مستوى اعماله الفنية . وقد سبق لي ان وجهت اهتماما خاصا الى غسان كنفاني كناقذ وباحث ادبي في مقال مطول عن كتابه « ادب المقاومة في فلسطين المحتلة » . ومع اشادني به كعمل ثوري وكسبق ادبي وصحفي ، فقد لاحظت ان الجهد الحقيقي المبذول في الكتاب هو جهد تجميعي وليس دراسيا . « فان الجهد الحقيقي الذي بذله مؤلف الكتاب هو في تجميع مصادر البحث وليس في البحث ذاته ، الذي لا يخرج عن كونه مجرد تعليق على شعر المقاومة الفلسطينية الصامدة في وجه العدوان الصهيوني .. » (٥) . ان كتابات غسان كنفاني النقدية تغلب عليها الحماسة اكثر من الموضوعية او ما اسماء « بالبرود الموضوعي » ، وقد لاحظت الملاحظة نفسها على كتابه النقدي الثاني « في الادب الصهيوني » ، فالخطا الاساسي في الكتاب هو التعميم والتجميع . اذ يغلب على الكتاب تجميع مقتطفات من الدراسات وتعليقات على الروايات . ولكنه لم يقدم دراسة واحدة لرواية صهيونية ليدلنا على مهاويها الفنية كما قال . كان يوضح لنا مثلا العيب الفني في الاعمال الادبية الصهيونية ، فهو قد اكتفى بالاستشهاد بفقرات من كتابات اخرى . هل العيب لان العمل الفني تناول اخطاء في المضمون التاريخي . هذا امر يتعلق بمضمون العمل الفني ، ولا يهدمه كعمل فني من اساسه ، ولكن اين المآخذ الفنية على الاعمال الادبية الصهيونية ولماذا لم تذكر اطلاقا ؟ كما ان عناوين الكتاب غير متفقة مع مضامينها . فكتاب « ادب المقاومة في فلسطين المحتلة » (٦) عن شعر المقاومة وهو جزء من كل . و « في الادب الصهيوني » (٧) ايضا يدور الحديث عن الرواية الصهيونية .

لذا فعندما اقصر الدراسة على فن غسان كنفاني القصصي فلانه في رأبي ابرز وجوه الاديب الفلسطيني العظيم ، رغم علمي بانه صحفي ناجح وناقذ ومعلق سياسي ، وروائي ، ومسرحي .. . انتهى التحفظ ، ولنعد الى موضوع الثورة الفلسطينية .

اولا ، هل هي حركة مقاومة ام ثورة فدائية ام ثورة مسلحة ؟ تؤكد فتح دائما على انها تقوم بثورة فلسطينية مسلحة لا بحركة مقاومة ، تأسيسا على انها تقوم بحرب تحرير شعبية ، وبحركة تحرير

وطنية . هذا ما تؤكده كتابات فتوح (٨) ، وتصريحات ياسر عرفات (٩) المتحدث الرسمي بلسانها . وما يدل عليه التطور الظاهر في تغيير اسم صحيفة فتح « العاصفة » الى « الثورة الفلسطينية » . تقول الصحيفة : « كان دور الطلائع وهي تطلق الشرارات الاولى لتعيد الامل الى نفوس الجماهير ولتعيد لها ايضا ثقفتها بنفسها وبمستقبلها ، كان هذا الدور دور مقاومة . ولكن تصميم الطلائع وايمانها بنفسها وبالشعب الذي تنتمي اليه ، وبوعيتها وادراكها لابعاد القضية التي تنبأها ، امور اهلت هذه الطلائع لان تكون خير نواة لثورة يعيشها شعبنا اليوم بكل دقائقها وظروفها .. . اجل انها ثورة فلسطينية بكل ما في الثورة من معنى .. » كانت حركة المقاومة الفدائية طليعة الثورة الفلسطينية ، طليعة بكل ما تحمل الطليعة من نبوة وبطولة وفداء ، لكي توظف جماهير الفلسطينيين من سبات اللامبالاة والاعتماد على الغير . حركة المقاومة كانت لاشمال نيران الثورة في الجماهير المهزقة اليائسة اللامبالية . ولم تلبث هذه الطلائع ان تحولت الى تنظيم سياسي واسع والى حركة ثورية كاملة تعمل وفق تكتيك واستراتيجية ثورية واعية وتستفيد من تراث الثورات العالمية . انظر مثلا رأي فتح في الوحدة الوطنية وكيفية اكتساب الخبرات من حركات التحرير الوطنية ومن الثورات التقدمية ، ثم فهم دور الطبقات في الوحدة الوطنية . فقد اجرت فتح مقارنة بين الخطا الذي حدث في الوحدة التي قامت بين الحزب الشيوعي الصيني والكومنتانج وانره في فشل ثورة ١٩٢٥ . وفي المقابل قدمت نموذج الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام . ثم اسست فهمها على ضرورة ان تكون الوحدة الوطنية بين ثوار يقومون بالكفاح المسلح ، ولهم مصالح طبقية في الثورة الفلسطينية . ونظرة فتح للطبقات المساومة ، وهي تحليل علمي يدل على وعي ثوري كامل ، تجعلها تصل الى البلورة التالية : « يجب على الوحدة الوطنية ان تدعم الكفاح المسلح » (١٠) . وهي تستبعد البورجوازية من قيادة الكفاح المسلح لانها ليست صاحبة مصلحة حقيقية ، وغالبا ما ترتضي بالعداوة الطنانة وتحيل الامر الى الغير . وانما ترتكن فتح في مفهومها للثورة الفلسطينية على المعدمين والبؤساء والكادحين المزقنين في الخيام وفي الصحارى الذين وقعت عليهم الماساة والذين يعانون ليل نهار والذين هم لذلك اصحاب مصلحة حقيقية في متابعة الكفاح المسلح ، والذين لا يتمتعون بآية مزاي طبقية يخشون عليها من الضياع . « ولا يفسر اختلاف ظروف الثورة الفلسطينية من هذه الوقائع شيئا كثيرا فهذا ايضا توجد طبقة من الذين تشدهم امتيازاتهم باستمرار الى اختيار الطريق الاسلام لهم

والى اتباع الوسائل السهلة لتحقيق انتصارات سياسية دعائية فسي  
القالب . وفي الوقت نفسه توجد ايضا الطبقات الحرمة والمعدمة  
التي تتكون منها غالبية الشعب الفلسطيني وهي الطبقات الواحدة التي  
عانت كل عبء النكسة وكل اثار فقدان الوطن ، وهي الواحدة القادرة  
بالتالي على بذل دماؤها في سبيل استرجاع وطنها ، لانها لا تخسر في  
الواقع من جراء ذلك الا عذابها الدائم وحرمانها وضياعها المستمر .»  
(١١) . وهذا يدلنا على طبيعة الثورة الفلسطينية ، ابعادها وجنودها  
وقادتها . فالبورجوازية الفلسطينية اختارت طريق الدعاية السياسية  
التعامية بينما اختار الثوريون المناضلون طريق الكفاح المسلح والمعاناة  
الحقيقية ضد العدو . وتدلل فتح على اهمية قيادة المحرومين والفقراء  
لثورة الشعب الفلسطيني بان هؤلاء هم ذوو الحس الجاهري الصادق  
والامكانية الثورية الملتزمة .

ونخلص من هذا كله الى ان ما يجري من كفاح فلسطيني مسلح  
ضد العدوان الاسرائيلي انما هو ثورة فلسطينية مسلحة رئيس مجرد  
حركة فدائية او حركة مقاومة ، لان الاخيرة لم تكن الا طليعة الثورة ،  
وقد تخطت الثورة الفلسطينية هذه المرحلة الاولى من الكفاح المسلح  
وبدأت في مواجهة العدو من داخل الارض المحتلة وفق تكتيك  
واستراتيجية محددين تمهيدا للانتقال الى المواجهة الشاملة مع العدو،  
هي ثورة وطنية اذن كما قال هو شي منه : « ان حرب المقاومة الطويلة  
هي الثورة الوطنية على اعلى مستوى . » (١٢) .

وقد عانت القضية الفلسطينية طويلا من افتقاد العنصر الفلسطيني  
المستقل ، واكسبت العدو أرضا جديدة . ويروي الدكتور صلاح  
العقاد في كتابه « قضية فلسطين - المرحلة الحرجة » (١٣) انه كان  
من اثر الاضطهاد البريطاني العنيف ضد المقاومة العربية في اواخر  
الثلاثينيات ١٩٣٨ - ١٩٣٩ - ان توقفت حركة المقاومة العربية مؤقتا  
في اعقاب الحرب العالمية الثانية بينما بدأ اليهود يقاومون الانتداب  
البريطاني بعد ان نالوا من بريطانيا كل الوعود والتسهيلات ولكنهم  
ارادوا فلسطين لهم وحدهم ، فبدأت حركة العصابات الصهيونية  
المسلحة ضد قوات الاحتلال البريطاني وكانها حركة تحرير وطني  
تقدمية ، وكان لهذا اثره في موقف الاتحاد السوفياتي اذ ان ذلك المؤيد  
للتقسيم والذي دخل فيه ايضا ان الرجعية العربية كانت تتاجر بقضية  
فلسطين من قاعدة اقطاعية استعمارية بينما في الوجه المقابل كانت  
المزارع الجماعية الصهيونية تمثل حركة تقدمية بالقياس الى التاخر  
العربي آنذ . وبدأت المقاومة العربية من جديد بناء على قرار الرؤساء  
والمولوك العرب في عاليه في اكتوبر ١٩٤٧ ، بتأييد المقاومة المسلحة  
اعتمادا على الفلسطينيين والمتطوعين من الدول العربية ودون تدخل  
جيوش نظامية عربية رسمية . وقسم جيشان ، جيش المجاهدين  
الفلسطينيين الذي يعمل من الداخل ، وجيش الانقاذ العربي الذي  
يقف في الخارج على اهبة الاستعداد . ولعبت العقلية المتخلفة  
والخلافات بين الاسر الحاكمة دورها في فشل جهود جيش الانقاذ .  
وكما يذكر الدكتور صلاح العقاد كان الحسيني يريد حرب عصابات على  
طراز الثورات العربية القديمة ضد البريطانيين . وقد اخفى الحسيني  
الاسلحة التي امدته بها مصر في منزله بالزيتون ولم يزود جيش  
المجاهدين الا بأسلحة عتيقة اما جيش الانقاذ بقيادة فوزي القاوقجي  
فقد وقع اسيرا للمنازعات العربية الدولية وضحية لرفض قائده  
القاوقجي التعاون مع عبد القادر قائد جيش المجاهدين مما قلل من  
فاعلية الجيشين (١٤) .

ومن المعروف ان الاطماع الرجعية العربية وتخلف الجيوش العربية  
كان لها دورها الاساسي في نجاح العصابات الصهيونية فسي تحقيق  
اطماعها والاستيلاء على فلسطين . ويذكر في هذا المجال قول حاييم  
وايزمان اول رئيس دولة اسرائيلي : « ان الجيوش العربية كانت  
انعكاسا للاوضاع الطبقية المسيطرة على العالم العربي ، فالضباط  
مفرطون في السمعة والجنود غايبة في النخافة » .

ذلك كان دورا من ادوار الكفاح المسلح من اكتوبر ١٩٤٧ وحتى  
قيام اسرائيل .

فاذا اردنا الاستزادة فلنرجع الى كتابي « النكبة والبناء » (١٥)

للدكتور وليد القمحاوي ، و « الثورة العربية الكبرى في فلسطين »  
للشهيد صبحي ياسين . والانطباع الذي يتولد لدي عند قراءة الكتابين،  
انه بينما كان اليهود يبنون المستعمرات ويستولون على الاراضي  
ويهودون كل شيء حتى ان طوابع البريد كتب عليها في سنة ١٩٢٠  
ارض اسرائيل ، كان العرب يقومون بالمظاهرات الصاخبة التي نجسم  
عن حماسة ثورية زمد ثوري ثم لا نلبث ان نخمد بينما اليهود ماضون  
في سياستهم نحو تهويد فلسطين . وقد كافح مناضلون عديدون وقتلوا .  
ولكن ذلك لا يجعلنا نتفق مع صبحي ياسين في لفته الانشائية بقوله  
« وبذلك انتصر العرب الاحرار في فلسطين على الصهيونية النازية  
ومن ورائها الاستعمار المجرم بانتهاء هذه الثورة » (١٦) . كينسف  
والصهيونية كانت تعقد عشرات المؤتمرات وتستجلب الاف المهاجرين  
والمهاجرات . انظر الى كتاب واحد من سلسلة دراسات فلسطينية مثل  
كتاب اديب قعوار « المرأة اليهودية في فلسطين المحتلة » وستعلم كم  
من المؤتمرات عقدتها المرأة اليهودية في فلسطين في مطلع القرن  
العشرين وبعده في العشرينات والثلاثينات ، وكيف بنيت المستعمرات  
والمدن اليهودية . ويؤخذ عموما على كتابات صبحي ياسين انه عد  
مظاهرات الاحتجاج التي برع فيها العرب عموما في ذلك الوقت ، نوعا  
من الكفاح المسلح ضد اليهود ، كيف بالمظاهرات والمطالب ؟ كما شاب  
كتابه بعض الافكار الساذجة التي تراود العامة كفكرة الملائكة الذين  
يحاربون مع رجال المقاومة الى غير ذلك . ويلاحظ ان ذلك كان رأي  
جمهرة الرجعية العربية في تفسير النكسة تفسيرات غيبية بالفة  
الساذجة (١٧) . ومع انه يعترف بان مواجهة وعد بلفور كانت مجرد  
مواجهة حماسية عاطفية لم تأخذ شكل الكفاح المسلح وانما اتخذت  
شكل عقد المؤتمرات . كمؤتمر دمشق في يونيو ١٩١٩ ، ومؤتمر النادي  
العربي في فبراير ١٩٢٠ . واكتفى المؤتمران باصدار قرارات التنديد  
الحماسية . يقول صبحي ياسين في كتابه « حرب العصابات في  
فلسطين » : « ولكن جميع الانتفاضات التي حدثت بين ١٩٢٠ و ١٩٢٣  
كانت فورات حماسية عاطفية حدثت بصورة عفوية في اعقاب تحديات  
صهيونية . ولم تكن هناك اية منظمة ثورية فلسطينية تؤمن بنظرية  
عمل واضحة تواصل الكفاح حتى النصر » (١٨) .

غير ان الشهيد صبحي ياسين يشيد عن حق بطولة الشيخ عز  
الدين القسام قائد عمليات فردية للكفاح المسلح في فلسطين ١٩٢٥ -  
١٩٢٦ . وقامت مجموعة مظاهرات اسفرت عن توحيد الاحزاب  
الفلسطينية في اللجنة العربية العليا ، الا ان صبحي ياسين يؤكد  
انها لم تكن وحدة حقيقية وانما للاستهلاك العام ، وظلت الاحزاب على  
تناحرها . وانتهت المظاهرات بدعوة من الحسيني للتعاون مع الدولة  
الصديقة بريطانيا ، اخذا برأي نوري السعيد وزير خارجية العراق  
آنذ . ويدلنا الشهيد صبحي ياسين على انه في سنوات ١٩٢٦-١٩٢٩  
قامت منظمة فدائية في الجليل ويافا وشمال فلسطين وفي عكا ايضا  
وسائر انحاء فلسطين . وقامت باعمال مسلحة ضد الانجليز واليهود .  
وكان لنشاطها شعبية واسعة . وكان نشاطها في شكل فصائل مسلحة  
موزعة على القرى والمدن الفلسطينية في الشمال . وتراوحت اعمال  
هذه الفصائل بين زرع الالغام والقاء القنابل اليدوية ومهاجمة  
المسكرات البريطانية . وكان من نتائج ثورة ١٩٢٦ - ١٩٢٩ عدول  
بريطانيا المؤقت عن مشروع تقسيم فلسطين ، وكانت اعمال الكفاح  
المسلح تشن كاعمال تكتيكية لحرب تحرير وطنية بهدف تحقيق الاستقلال  
الوطني ووقف الهجرة اليهودية ومنع تقسيم فلسطين . وقد تحقق  
الجزء الاخير اذ عدلت بريطانيا مؤقتا عن سياسة تقسيم فلسطين بناء  
على تقرير لجنة جون وود هيد البريطانية . غير ان الثورة انتهت بقيام  
الحرب العالمية الثانية دون ان تحقق شيئا يذكر . وتحولت البلاد الى  
حكم انجليزي ارهابي شديد العنف . وكانت الفترة بين ١٩٢٩-١٩٤٧  
اشد الفترات اهمية في تاريخ فلسطين وهي التي توقف فيها نشاط  
الكفاح المسلح الفلسطيني حتى بدأ على النحو السالف ذكره ، وكان  
صورة للخلافات بين الدول العربية وبين القيادات الفلسطينية .

من الواضح ان العمل المسلح الفلسطيني افتقد التكتيك المدرس  
ضمن استراتيجية عامة واضحة ومحددة . وانه كان يثار انطلاقا من

افكار دينية وغيبية اكثر من انطلاقه من وعي سياسي ناضج ، ومسن دراسة مكان الكفاح المسلح الفلسطيني في ضوء تيارات الموقف الدولي والاستفادة من الخبرات العالمية الماثلة . وكانت اقرب الصور اكتمالا هي الجمعية السرية التي ألفها الشيخ عز الدين القسام وممارست نشاطها من ١٩٣٦ - ١٩٣٩ بقيادة الشيخ القسام ومجموعة من الشيوخ الذين زاولوا الكفاح المسلح على نهج المجاهدين العرب الاول في عصر الفتح الاسلاميه ففشل الكفاح المسلح في ان يؤتي ثماره المرجوة . ويؤكد صبحي ياسين (١٩) ان اعلان دخول جيوش الدول العربية فلسطين كان مثبطا للعمل الفدائي وادعى للتواكل والاستسلام ارتكانا على قوة الجيوش العربية ومقدرتها .

وفي ظروف صعبة لوجود عدوين ، الانجليز واليهود ، واقتادا لقيادة ثورية موحدة اقتصر النشاط الوطني على اعمال فدائية فردية ومظاهرات صاحبة تطالب الدول العربية بالتدخل . ولعبت الخلافات بين الدول العربية وبين القادة الفلسطينيين دورا ممانلا لخلو الميدان من قيادة ثورية موحدة . كما لعبت الخيانات دورها ايضا في زيادة الموقف سوءا على سوء (٢٠) .

بعد نكبة ١٩٤٨ سيطرت مشاعر الياس والحزن العميق وعمدم التصديق على كل الفلسطينيين . ولكن نكسة ١٩٦٧ اشعلت حماسا رهيبا وثقة لا حد لها في قوة العمل الفدائي الفلسطيني الذي تحول الى ثورة مسلحة عارمة . لماذا عم الياس الفلسطينيين بعد النكبة ؟ لانهم فوجئوا بحياة الالم والتشرد والغربة بعد حياة الاستقرار فسي بلادهم واراضيهم . اما لماذا اشتدت الثورة الفلسطينية المسلحة ؟ فلانها كانت تعبيرا حقيقيا عن الرفض الكامل للواقع الفلسطيني المر الذي لم يعرف الراحة او الاستقرار او الوطن . وسنتفق مع الدكتور نديم البيطار في تأييده لعبارة جيد « ان العالم ، سيجد نجاته ، ان كان من الممكن ذلك ، عن طريق المتمردين . فدونهم ستلقى حضارتنا ، ثقافتنا ، وكل ما نحب ، نهايته .. فهؤلاء المتمردين هم ملح الارض .. » (٢١) . حقا ان الانسان الحقيقي هو انسان البير كامو المتمرّد . وقد طرح الفلسطينيون عنهم جدران اللامبالاة والاتكالية وتولوا امورهم بانفسهم ونهض المتمرّدون ليحطمو العالم الزائف حولهم ، العالم الياس الثابت ، وليحولوه الى عالم متفجر بالثورة المسلحة ، ولم يعد هنالك مجال للمناقشة حول اولوية العمل الفدائي . ان الفدائي المسلح هو الثوري الجديد الذي طرح كل مشاكله الخاصة ليحارب من اجل قضيته العامة ، قضية الشعب الفلسطيني المعذب . ان الفدائي هو الصورة الارقى للثوري الفلسطيني ، انه يبدأ برفض العالم الذي يعيشه ، برفض الهزيمة ، ويتحول الى ترجمة هذا الرفض الى عمل مناضل للتغيير الثوري وفق مفهوم محدد ، عودة الارض ووقف الاحتلال الاجنبي الصهيوني . انه لا يبالي الموت ، لان الحياة التي حوله لا ترضيه ، هو يبيع الموت مقابل حياة حرة كريمة لشعبه ، ومن هذا كله خرجت الثورة الفلسطينية المسلحة قوية عظيمة واثقة بقدرتها على استعادة الحق السليب بنفسها . ان القول بان جهة التحرير الفيتنامية نجحت بسبب الغابات ، وجهة التحرير الجزائرية نجحت بسبب الجبال ، هو قول ساذج . لان كل ثورة مسلحة قادرة على خلق ظروفها ودراسة وضعيتها وخصائصها وخصائص عيها والاستفادة منها . ولذلك امكن للثورة الفلسطينية المسلحة ان يكون لها فكرها السياسي الثوري الواعي الذي يحلل التاريخ الفلسطيني تحليلا علميا ، فيرى ان فشل ثورة ١٩٣٦ وحرب ١٩٤٨ راجع الى اقصاء الكفاح الثوري الفلسطيني عن دوره واحالته الى النول العربية التي كانت تحكمها الرجعية العربية المتعاونة مع الاستعمار التي كانت تطلب الى الشعب الفلسطيني الهدوء لتحقيق تنازلات من الاستعمار . ومن ثم تحسول الكفاح الفلسطيني الى كفاح سلبي ، مقاطعات ومظاهرات . ان اختيار طريق الثورة الفلسطينية جعل الدم العربي فعلا ، وقطع الطريق على البورجوازية الفلسطينية في احتواء الثورة الفلسطينية وتحويلها الى ديماغوجية والى وسيلة للتخالف مع البورجوازية العربية .

وهكذا قامت الثورة الفلسطينية المسلحة اعتمادا على انسان الخيمة الممزق المحروم البائس ، اعتمادا على سخطه وغضبه المدفون في سنوات اللامبالاة . ووصلت الثورة الى حد استعمال الصواريخ الثقيلة ضد العدو ومواجهته عشرات المرات في اليوم الواحد وفي كل انحاء الارض المحتلة .

لقد حدث تفسير جذري في نوعية العلاقات بين الشعب الفلسطيني والعدو الاسرائيلي ممثل الامبريالية الجديدة في المنطقة . فابن تقسع كل هذه الاحداث على خريطة الادب ؟

من الملاحظ ان الادب العربي في خلال الحروب الصليبية كان ادبا دينيا (٢٢) فبيبا لم يشد بالانسان بقدر ما اشاد باللائكة . وربما ذلك للطابع الظاهر للحروب الصليبية من انها حروب دينية ، على خلاف الواقع المعروف الان من ان الدين المسيحي لم يكن الا ستارا للاستعمار الاوروبي . كما ان الدين اليهودي ليس الا ستارا للاستعمار الصهيوني الغربي الجديد . وليس ادل على ذلك من الجملة الشهيرة التي قالها النبي لدى دخوله دمشق « الان انتهت الحروب الصليبية » . بينما نجد الادب العربي اكثر نضجا وواقعية في مواجهة الاستعمارين التركي والاوروبي ، بالاعتماد على الشعب كقوة اساسية واثارته اعتمادا على الامجاد القديمة . وتميزت الاعمال الادبية بعوي سياسي وثقفة عظيمة في الشعوب وفي الكفاح المسلح ، وبالافتتاح على حركة التحرير العالية وادابها .

اما الان فس نجد اثرا واضحا وسريعا لانتشار الثورة الفلسطينية المسلحة على الادب العربي الحديث ، بمقارنته بسيطة لاعمال شاعر مثل نزار قباني في قصيدته « هوامش على دفتر النكسة » و « فتح » . وهذه ابيات من قصيدته « هوامش على دفتر النكسة » (٢٣) :

يا ايها الاطفال ، انتم بعد ، طيبون  
وطاهرون ، كالندى والتلج ، طاهرون  
لا تقرأوا عن جيلنا المهزوم يا اطفال  
فنحن خائبون ..

ونحن مثل قشرة البطيخ تافهون  
ونحن منخورون .. منخورون كالنعال ..  
لا تقرأوا اخبارنا  
لا تقتفوا اثارنا  
لا تقبلوا افكارنا

فنحن جيل القيء ، والزهري ، والسعال  
ونحن جيل الدجل ، والرقص على الحبال

وهذه ابيات من قصيدته الثانية « فتح » (٢٤) ، وهي تدلنا على مدى الاثر العميق الذي ولدته الثورة الفلسطينية المسلحة في الادب العربي الحديث :

يا « فتح » يا شاطئنا من بعد ما فقدنا  
يا شمس نصف الليل لاحت بعد ما ضجرنا  
يا رعشة الربيع فينا بعدما يبسنا  
حين قرأنا عنكم كل الذي قرأنا  
خمسين قرنا بكم كبرنا ..  
وارتفعت قاماتنا  
وازهرت حياتنا  
من بعد ما نشفنا

وليس ادل على اهمية الطريق الذي سلكه الشعب الفلسطيني في كفاحه المسلح من الامال التي يعقدها شاعر الارض المحتلة محمود درويش على « العاصفة » الجناح العسكري لمنظمة « فتح » ، في قصيدته « وعود من العاصفة » :

وليكن ..  
لا بد لي ان ارفض الموت  
وان احرق دمغ الاغنيات الراحنة  
واعري شجر الزيتون

وبذلك ظل أسعد يدور ويدور في الصحراء بحثا عن طريق . وحتى عندما حدثه المهرب السمين الذي خاطب أبا قيس من قبل ، عسّن الطريق ، ردد : « الطريق ! أتوجد بعد طرق في هذه الدنيا ؟! » . الضياع والوحدة والغربة نفس ما لافاه أسعد ثاني الثلاثة رجال فسي رحلتهم المفردة في الشمس والصحراء الملتهبة . « انه وحيد في كل هذا العالم » . والعالم كله يضطهده ويطارده . فالمعتقل صحراء والطريق صحراء حتى بدا العالم كله أمامه وكان « الصحراء موجودة في كل مكان » . وفي الصحراء الملتهبة طارت أوراقه وكاد يفقد هويته في رحلة العذاب ، والتقطه رجل انكليزي يفهم كل شيء عن الهروب والتهريب وعن فلسطين وعن ضياع أهلها . أما نقود الرحلة فقد دفعها عمه كمعامرة لعلها تنقذ ابنته من العنوسة، من الوحدة أو من العار . ومروان هو ثالث الثلاثة رجال ، الذي اصطدم أيضا مثل الآخرين بشرط الخمسة عشر دينارا . ف شعر بان آمال السنوات الطويلة تنهار فجأة . آمال الرحلة الى الكويت ، بحثا عن المأوى واللقمة .

ويضع غسان كنفاني رأيه في سلوك الثلاثة ، على لسان المهرب السمين الفظ ، انهم جميعا يكون كالارامل ، يكون مأساتهم ولا شيء أكثر من هذا ، هذا كل ما فعله الفلسطينيون بعد النكبة « كلهم تآتون الى هنا ثم يتدأون بالنواح كالارامل ! » ( ص ٣٦ ) .

ويجتزع مروان الاهانة تلو الاهانة من المهرب كاذما ليدلنا على حياة الاهانة التي يعيشها الفلسطيني بعيدا عن وطنه ، حتى عندما صفعه المهرب على وجهه جزاء تهديده له بإبلاغ الشرطة . وعندما صفعه المهرب السمين حاول أن يرد ولكنه تبين ضعفه . وغزاه الشعور بالوحدة والغربة وجموع الناس من حوله لا تشعر به . ورغم انقطاع خيوط الامل بصفحات الهرب على وجهه الا انه ظل يفمره حنين عجيب لان يدور مثل هؤلاء الناس في دورات حياتهم المتعددة والمثيرة . وحمل مروان مأساته . كانت مأساة ابو قيس في زوجته وابنه قيس والامل في عيش كريم لهما . ومأساة أسعد في البحث عن عمل والبعد عن المطاردة وسداد دين الرحلة بالزواج من ابنة عمه صاحب الدين . أما مأساة مروان ذي الستة عشر ربيعا فنكمن في اعالة أسرته المكونة من أمه وأخوته ، التي تركها والده وتزوج من امرأة أخرى مشوهة ولكن ثرية طمعا في تأمين مستقبله ، وذلك بعد انقطاع مورد المال من ابنه الأكبر بالكويت . وعندما يكتب لاهه فهو لا يجد حتى لديه القدرة على الكراهية ، رغم ما قام به أبوه من عمل كريه .

مأساة أسرة مروان هي ثمرة المأساة الفلسطينية ، فأبوه عاش عشر سنوات في المخيم الطيني بأمل أن ينقذه ابنه زكريا بالكويت من فقره ، فلما انقطعت أخباره ، تزوج من الفتاة التي فقدت ساقها أثناء قصف اليهود لمدينة باقا ، والتي رفض الجميع أن يتزوجها بسبب فقدها لساقها . فاجتمع المشوهان معا . أما زكريا فقد تزوج في الكويت ككل من يذهب الى هناك فيتزوج الكويت وينسى الوطن والاهل . أو كما قال ابو الخير لمرّوان : المال أولا ثم الاخلاق . ويلخص والد مروان اليأس الكامل بعد النكبة وتصويره لها كقدر قاس بقوله : « أنت تعرف يا مروان بأز لا بد لي في الامر ، هذا شيء مكتوب لنا بعد الخليفة » ( ص ٤٨ ) .

ويتعرف الثلاثة الى فلسطيني رابع ، سائق يعمل في خدمه رجل نزي معروف ، فيعرض عليهم اقتيادهم في خزان الماء الضخم الفسارغ في سيارته الى الكويت ، لقاء ما يمكنهم دفعه . وتبدأ رحلة العذاب والموت . أما السائق أبو الخيزران فهو مناضل فلسطيني قديم فقد رجولته أثناء معركة مع العدو . ان الموت أهون لديه . لقد أضاع رجولته حقا في سبيل الوطن ، ولكن الوطن ضاع ورجولته ضاعت وكل شيء ضاع .

وبدأت الرحلة التي شبهها أبو الخيزران بالسرط الذي يقود الى النار او الى الجنة . على أن يهبط الجميع في فاع خزان السيارة الخالي قبل نقطة الحدود ويصعدوا بعدها . ويكشف أبو الخيزران عن قصص الفلسطينيين الذين ضاعوا في الصحراء الموحشة « قصص

رجال تحولوا الى كلاب وهم يبحثون عن نقطة ماء واحدة . . . » . وحملتهم السيارة وهم داخل الخزان الساخن المختق كالنجيم . وفي السيارة تختلط احلامهم بالامهم . أبو قيس يعاني من ذل انكيلو من طحين الاعاشة . ومروان يفكر في ان زوجة أبيه كانت صبية مرغوبة لولا القنبلة اليهودية التي أودت بساقها وفخنها . وأبو الخيزران يفكر في حياته التي ضاعت في المغامرة بحثا عن المال ، ورجولته التي ضاعت في سبيل الوطن الضائع . أما مروان فلا يفكر الا في ذله لعمه لقاء الخمسين دينارا التي لولا أمل تزويجه لابنته لما نالها .

وفي إحدى نقط الحدود يضيع الوقت من ابي الخيزران في هذر سمج من موظفي النقطة . فيكتشف موت الثلاثة . وينال أبو الخيزران أموالهم وساعاتهم . ويردد عليهم السؤال الرهيب : « لماذا لم تدفوا جدران الخزان ؟ لماذا لم تقولوا ؟ لماذا ؟ » ( ص ١٠٦ ) .

وبهذا السؤال الملح الذي يتكرر في نهاية رواية « رجال فسي الشمس » تكرر مؤلما موحيا ، ينادي غسان كنفاني الفلسطيني : لماذا صمتم حتى ضاع الوطن ، لماذا ؟ ولماذا صمتم كل هذه السنين حين ضاع الوطن ؟ بهذا النداء الفاجع يختتم غسان كنفاني روايته القصيرة المحكمة فنيا « رجال في الشمس » . والبناء الروائي والقصصي عموما في أدب غسان كنفاني بناء غير تقليدي . ويحتاج الى دراسة منفصلة نظرا لاهمية المعمار الفني في أدبه والذي لا يقل أهمية عندي عن المضمون العميق لادبه .

كثرت رواية « رجال في الشمس » في ظل جمود القصة الفلسطينية في اطار الروتينيات الدورية . أما رواية « ما تبقى لكم » ( ٢٨ ) فقد صدرت بعد مضي حوالي العامين على مباشرة منظمة فتح لأول مرة نشاط فلسطيني ثوري مسلح منظم بعد النكبة . ( الرواية صدرت في سبتمبر ١٩٦٦ - ومارست فتح أولى عملياتها الثورية المسلحة في أول يناير ١٩٦٥ ) لذا فان اهداء الرواية هنا لا يخلو من معنى . « الى خالد . . . العائد الاول الذي ما زال يسير » . بينما كان اهداء الاول لرواية « رجال في الشمس » الى « آني كنفاني » ينم عن الارتباط الشخصي بالاسرة . يدلنا اهداء الثاني على نجاح فتح في ربط الفلسطيني بوطنه .

وكما يقول غسان كنفاني في توضيح أسلوب العمل الفني فسي « ما تبقى لكم » فان هذه الرواية تريد ان تقول رأيا دفعة واحدة . وقد أتمت الرواية ما أرادته بنجاح ، مع انها قصيرة جدا ( ٧٥ صفحة قطع صغير ) . وقد أدلت بما تريده مرة واحدة حقا بلا فصول ولا تواصل . واختلط فيها السرد بالمونولوج بتيار الوعي ، واختلط الماضي بالحاضر اختلاطا ذكيا موحيا . فترجم الفكرة العميقة من خلال قصة بسيطة . أما القصة فهي رحيل حامد الشاب الفلسطيني الصغير من غزة ، الى الام في الضفة الغربية ، عبر أرض الوطن الفلسطيني المحتلة . والام هنا بشكل واضح هي فلسطين ، الممزقة . ففي الاردن أم حامد ، وفي غزة أخته ، وهو في الطريق بينهما على الارض المحتلة . أما لماذا يرحل حامد عبر الصحراء الموحشة كما رحل ابو قيس وأسعد ومروان من قبل ، فتلك هي القصة .

وتلعب الشمس دورا هاما في قصص غسان كنفاني يجعلنا نفسرها كرمز لقدرة مفروض على الفلسطينيين . فسي « رجال في الشمس » نجدها من أسباب موت الرجال الثلاثة في خزان العربة الخالي . وفي « ما تبقى لكم » هي أول ما يراه البطل ، وهي المؤشر الزمني لرحلته . وكذلك الصحراء فان أبطال القصتين يتنسمونها ويتسمعون دقات قلوبهم عليها .

وأبطال الروايتين يفرون من وضعيتهم وضياعهم الفلسطيني . ولكن شتان بين رحلة الثلاثة في « رجال في الشمس » ورحلة زكريا في « ما تبقى لكم » ، ان الاول هاربون من وطنهم ومصيرهم فماتوا دون كلمة احتجاج واحدة . أما الاخير فلم يتعد خطوة واحدة عن أرض الوطن . ولم يكف عن الحلم بالام ، بالارض الام . بل وقام يربط - التهمة على الصفحة ١٠٣ -

## في الثورة الفلسطينية

— تنمة المنشور على الصفحة ٨٥ —

من كل الفصون الراحفة

فاذا كنت اغني للفرح

خلف اجفان العيون الخائفة

فلأن العاصفة

وعدتني بنبيذ

وباقواس فرح

ولان العاصفة

كنت صوت العصافير البليدة

والفصون المستعارة

عن جذوع الشجيرات الواقفة

انه اثر واضح وسريع وعظيم ذلك الذي طبعته الثورة الفلسطينية المسلحة على ادبنا العربي الحديث . هو اثر يخالف ما حدث بعد نكبة ١٩٤٨ . يذكر غسان كنفاني ان الصمت خيم على الادب العربي الفلسطيني بعد نكبة ١٩٤٨ نتيجة لذهول النكبة ، ثم صدر ادب فلسطيني يمكن اعباره ادب منفي لا ادب لاجوء ( ٢٥ ) . وغلب الحماس وعدم التصديق على هذا الادب وكان في اغلبه شعرا . وفي داخل فلسطين المحتلة قام الادب الشعبي الفلسطيني بسهولة تداوله وعدم خضوعه لاجهزة الاعم الصهيونية بنصيب عظيم في التعبير عن النكبة بحزن عميق ثم بتوره عارمة كرد فعل للمكاسب العربية الثورية خارج فلسطين . وبعد موجة من التسمر الفرامي في اوائل الخمسينيات عادت انثوره العارمة الى الشعر العربي داخل فلسطين المحتلة ، بعد ان حقق الفلسطينيون الارتباطات الشخصية بالحب ، بدأوا يعاودون الارتباط بالوطن . ان مقارنة بسيطة بين قصيدة اشاعر الفلسطيني توفيق زيادة ، الذي تعرض للطرده من وظيفته عقابا لشعره ، وهي قصيدة « المستحيل » ( ٢٦ ) وناريخها ١٩٦٥ ، وبين قصائد محمود درويش بعد النكسة واشتداد الثورة الفلسطينية المسلحة ، لترينا بوضوح ان الامل اصبح حقيقة ، وان الشعر تحول من القصب الى الحرب ، من الشعور الى الفعل . وان المجال لا يتسع بالطبع لمقارنات كثيرة بؤيد وجهة نظرنا . فالجزء التالي من موضوعنا هو : أين يقف غسان كنفاني من الثورة الفلسطينية ؟ وستتناول ثلاثة نماذج من انتاجه القصصي كدليل لنا الى دراسة آدبه القصصي : « رجال في الشمس » ، و « ما تبقى لكم » ، و « عن الرجال والبنادق » .

الكتاب الاول : « رجال في الشمس » ( ٢٧ ) . قصة طويلة او رواية قصيرة ، تعرض لمأساة الفلسطينيين بعد الاستيلاء من هول النكبة ، ومن اليأس الكاذب والامل الكاذب كذلك ، والهرولة في أرجاء الوطن العربي بعيدا عن الارض الفلسطينية ، بحثا عن لقمة الخبز ، وعن الحياة بعيدا عن الوطن الفلسطيني . وتعرض الرواية هذا البحث من خلال ثلاث شخصيات فلسطينية ، ابو فيس ، وأسعد ، ومروان . ويخوض الثلاثة رحلة العذاب هربا من العذاب . من البداية يذكرنا كل سطر في الرواية بالمأساة التي تلح بشعور أسن من القرية والارض الخالية كالأيدي الاسود ، والمدرس سليم الذي لا يعرف كيف يصلي ولكمه يجيد اطلاق الرصاص ، والذي يحسد لوفته قبل سقوط القرية فسي أيدي اليهود بليدة واحدة ، يحسد لانه ظل في الارض حتى وهو ميت . أي حين حزين للارض والوطن تدلنا عليه الكلمات الاولى لهذه الرواية الرائعة . مات سليم في وطنه وحمل ابو فيس — أحد أبطال الرواية — عاره على كتفه عبر الصحراء الملتها الخالية في طريقه الى الكويت بحثا عن « لقمة خبز » . كل كلمة تشير بعناية الى الامل والى الامل في جيل جديد ، حتى بعد ان يناقش ابو فيس من الحمل الجديد الذي

تحمله زوجته في بطنها ، يرفض أن يكون القادم بنتا بل انه يكرر في اصرار : « كلا ! نريد صبيا ! صبيا ! » . يريد رجلا للمستقبل . هذا هو ابو فيس الذي غادر قريته الفلسطينية المحتلة الى قرية اخرى بعيدة عن خط النار . ثم لا يلبث أن يفادرها ، يفاد الوطن والارض ، بحثا عن مورد للرزق ، لقمة الخبز . وكلما ابتعد ابو فيس عن وطنه ازداد احساسه بقرية . عندما صوب بصره نحو شط العرب « أحس أكثر من أي وقت مضى بأنه غريب وصغير » . وحتى عندما يحلم بالكويت فانه يحلم بأرضه وبشجرات الزيتون العشر . ان غسان كنفاني فنان واع يدلنا تيار الوعي والموتولوج الداخلي لابي فيس على التصوير اندفيق لمأساة الفلسطيني خارج وطنه بعد النكبة . لقد ظل عشر سنوات في ذهول ، ليتبين انه فقد كل شيء « لقد احتجت الى عشر سنوات كبيرة كي تصدق انك فقدت شجراتك وبيتك وشبابك وقريتك كلها .. في هذه السنوات الطويلة شق الناس طرفهم وأنت مقع ككلب عجوز في بيت حقير .. ماذا تراك كنت تنتظر ؟ أن تشقب التروة سقف بيتك .. بيتك انه ليس بيتك .. » ( ص ١٤ و ١٥ ) . عشر سنوات في الخيش وفي الفقر وفي بيت غريب . هكذا انقضت حياة الفلسطيني ابو فيس بعد النكبة كما صورها بدقفة غسان كنفاني في « رجال في الشمس » . واذا خاف ابو فيس العجز من غناء الرحلة الذي قد يجلب له الموت السريع لا يلبث أن يؤكد له تيسار وعيه المتدفق بان الموت أفضل من حياة الانتظار ، انتظار العودة الى الارض وانزيتون والوطن . عشر سنوات من الانتظار بلا أمل حقيقي . ومن اجل أن يتعلم فيس ، الجيل الفلسطيني الجديد ، ومن اجل حياة جديدة مستقرة ، يطرح ابو فيس لامبالته جانبا ويهضي في طريقه الى الكويت ، فيقع في ايدي احد سماسرة التهريب الى الكويت ، الذي يطالبه بكل ما معه من نفود لقاء تهريبه عبر دروب الصحراء

## مجلة « مواقف »

### العروبة والثورة

هل للدين منطقه الخاص ؟ هل هو متناقض مع الثورة ؟ ما معنى الوحي ؟ هل الانجيل وضع ام معنى ؟ هل القرآن كتاب السكون ام كتاب الحركة ؟ هل الفكر العربي المعاصر فكر ثوري ؟ كيف تكون العلمنة الانقلابية ؟ هل الانسان للثورة ام الثورة للانسان ؟ ما هو الطريق الى الثورة العربية : العقل ام العنف ؟ كيف تكون الفلسفة سلاحا للثورة ؟ هل الثورة العربية القائمة ثورة من اجل السلطة ام من اجل الشعب ؟

هذه الاسئلة يجيب عنها في دراسات جديدة خاصة كتساب العدد الثاني من مجلة « مواقف » الذي صدر اليوم . وهم : رينه حبشي ، حسن صعب ، جورج خضر ، بولس الخسوري ، مكسيم رودنسون ، نديم البيطار ، لاسلوجيوركو ، عادل صاهر ، جيسر حيدر ، سليمان العيسى ، هشام شرابي .

يتضمن العدد كذلك حوارا شاملا عن « لحظة القدرة على كل شيء » ، كما يراها ، بول غيرافوسيان . وفي العدد صوت شعري جديد ينشر للمرة الاولى هو حسين عيد اللطيف فسي « الشخص خارج القوس » ، ومحمد الماغوط في « شواطئ متعرجة لا يحدها البحر » ، وسركون بولص في « عاصمه آدم » ، ورفيق شرف في « نصوص ورسوم » ، وجمال ابو حمدان في « ملصقات على حائط عتيق » . ويتضمن العدد وثيقتين الاولى بعنوان « التناقضات في الوحي الالهي » للودفيغ فويرباخ ، والثانية بعنوان « الفلسفة ، سلاحا للثورة » للفيلسوف الماركسي الفرنسي المعاصر لسوي ألتوسير .

وفضائها الى الكويت . يهرب ابو فيس من وحدة الياس والحرماني الى رحلة العذاب التي ينتهه الى أهوالها المهرب السمين . ولكنه أينما ينتجه تشده رائحة أرضه وتنساب في شرايينه كالطوفان .

أما أسعد ، الرجل الثاني ، فقد سار في رحلة التهريب ووقع ضحيتها فدفعت عشرين دينارا لمهرب هربه من الاردن الى العراق ، الا انه تركه يدور في الصحراء المحرقة خوفا من مطاردة السلطات له . الارض الممزقة عبر رحلته الجريئة .

فماذا تقول رواية « ما تبقى لكم » ؟

ان حامد يعاني أيضا من آثار المأساة على أسرته . لقد غرر زكريا المميل الصهيوني ، بأخته ، وفض بكارتها . فاضطر حامد لان يزوجه له . ولم يستطع ان يمضي ليلة واحدة في المنزل . قرر أن يغادر غزة متجها الى أمه في الاردن عبر الارض المحتلة . « لو كانت أمك هنا . اذا تشاجرا قال لها : لو كانت أمك هنا ، اذا ضحكا ، اذا انتابها الالم ، اذا عجزت عن الطبخ ، اذا طرده من عمله ، اذا وجد عملا : لو كانت أمك هنا ، او كانت أمك هنا ، وأمه لم تكن هنا أبدا ، على بعد ساعات من المشي ، في الاردن ، لم يستطع أحد ان يمضيها في سنة عشر عاما . . . » ( ص ١١ ) . الام هنا أيضا هي الوطن الام . لو كان الوطن موجودا لما نال العار من أخته ، ولما اضطر الجبان زكريا الى الخيانة ، ولما اضطر الى تزويجه أخته . ولكن حامد هو أول من يعلم ان سلسلة التمنيات هذه لا فائدة منها . لقد ظل مقيدا الى غزة ستة عشر عاما وهو الان يفك قيوده وينطلق عبر أرض الوطن المجزأة . ان الصحراء وحشي مخيف يصعب اجتيازه وهي تبذل الرجال في الروايتين . ولعل المؤلف أراد ان يوضح مدى بشاعة ترك الوطن والهرب خلال الصحراء المميتة . « ان الصحراء تبذل عشرة من أمثاله في ليلة واحدة ، عليه أولا أن يجتاز حدودنا ثم عليه أن يجتاز حدودهم ثم حدودهم ، ثم حدود الاردن ، وبين هذه المينات الاربع توجد مئات المينات الاخرى في الصحراء » ( ص ١٣ ) .

في « ما تبقى لكم » ظهر العدو مرة أخرى في المواجهة . وبدأ حامد يعاني من أرهابه ولكن باصرار على حماية الثوريين المسلحين . أما زكريا التتن فقد ركع على قدميه وأوشك على أن يذلي للضابط الاسرائيلي بمعلوماته عن الفدائي البطل الفلسطيني « سالم » الذي يبحثون عنه . ولكن سالم ظهر عندئذ « والتفت الى زكريا وشيعة ينظرات رجل ميت باردة وقاسية تعلن عن ولادة شيخ » .

ان زكريا التتن اغتصب مريم بينما حامد غارق في دوامة أول الشهر ، ليأتي بالاعاشة . هذا ما تبقى لكم : العار ، وانتظار أول الشهر ولقيمانه . ومرة أخرى تعود يافا وضحاياها . ان الاسرة كلها ضحية الهجوم الوحشي على يافا وهو يصور الهجوم والخروج الفلسطيني تصويرا دقيقا . « ووراء الشاطئ الاسود كانت يافا تحترق تحت شهب مذنب من الضجيج الملتهب المتساقط في كل مكان . ونحن نطوف فوق موج داكن من الصراخ والدعاء . . . ويافا تقطن كالشعلة في مياه الافق البعيد ، وتنطفئ في عيوننا نقطة نقطة . . . » . وفي يافا فقد أباه أيضا في معركة مع العدو . أبوه الذي كان يؤجل كل شيء من أجل القضية ، قضية فلسطين . أما حامد فلماذا يذهب الى أمه ؟ لماذا لا يكون رجلا مكتفيا لا يبحث عن الام ؟ ليس البحث عن الام هو الغاية ، بل العمل الشاق ، عمل الرجال . ان المونولوج الداخلي يدلنا على عذاب حامد وتمزقه . ان البحث عن الام ليس بكاف . ومادامت الذات غير مؤكدة فيجب تحديد الذات الشخصية الفلسطينية : « غزة راحت الان وامحت وراحت في الليل . خيوط الصوف كرت كلها ، ولم تعد أنت مجرد كرة لفوا عليها خيطان الصوف ستة عشر عاما ، ولكن من أنت ؟ » ( ص ٤١ ) لننظر أي صورة رهيبه يصورها غسان كنفاني للانتظار الفلسطيني ، انها صورة أليمة حقا ولكنها تحسرك الصخر « ربما كان أفضل لك أن تمضي عمرك راکما هنا ، مكبسا ، يكاد جبينك يمس الارض بانتظار أن تركلك قدم ثقيلة ، فننتصب واقفا والذل يتكلك في جسدك كالجرث « ( ص ٤٤ ) . وحين جاءت حامد الفرصة ليجنده سالم للعمل المسلح اغتال زكريا الفرصة ووشى بسالم . أما سالم فلم يعد ذليلا لانه واجه العدو ولم يستكن لأرهابه ،

وحين مات سالم بطلقة واحدة عاد السذل مرة أخرى . قال الضابط الاسرائيلي لهم : « انصرفوا الى بيوتكم . لقد شهدتم ما فيه الكفاية . . . فحمل كل منا ذلة الخاص ، وانزلنا الى المعسكر من جديد » .

ان غسان كنفاني يحرك الثورة في الجماهير الفلسطينية الممزقة . ان من لا يحمل السلاح ناهه . فعندما سألته أخته لماذا يقتلونك أنت ؟ شعر بتفاهته . وبينما عانى أبطال « رجال في الشمس » من الوحدة ، تصيح الوحدة في « ما تبقى لكم » دافعا للثورة ولليقظة . « أورتني يقيني بوحدتي المطلقة مزيدا من رغبتني في الدفاع عن حياتي دفاعا وحشيا . . . » ( ص ٤٨ ) .

ان كل شيء في « ما تبقى لكم » يرفض الانتظار . حامد يرفض الانتظار اكثر من ستة عشر عاما . ومريم ترفض الانتظار ، انتظار زوجها الذي يجعلها مجرّد ممر في ذهابه من زوجته القديمة الى عمله .

ليس لدى الفلسطينيين شيء يخسرونه . هذا ما يؤكده غسان كنفاني . وقد اكتشف بطله حامد هذا عندما بدأ في التحرك عبر الارض المحتلة وعندما حمله التحرك الى مواجهة العدو وجها لوجه . ان تحركه من الانتظار اللامعدي خلق موقفا جديدا ، هو ليس الخاسر فيه لانه خسر كل ما لديه . وكلما جمد حامد تحول الزمن إلى خصم له . وعندما التقى بالعدو التقى به لقاء القوي تعويضا عن حادثة الفدائي سالم الذي طلب اليه ان يكف عن التمنيات .

أما ما تبقى لكم ، فهو الموت والعار والمفقر والضياع . هذا ما تبقى لكم . وهو قبض الريح . فتحركوا فلن تضرروا شيئا لانه لم يعد هناك شيء . هذا ما تقوله رواية « ما تبقى لكم » وما يقوله غسان كنفاني وبالصرحة المباشرة ودون صراخ مموج في الفن : « ما تبقى لكم . ما تبقى لي . حساب البقايا . حساب الخسارة . حساب الموت . . . » ( ص ٥٨ ) .

أما زكريا الخائن فقد أراد ان يوقف مسيرة الزمن . أوقف الساعة التي تدق كل دقة تذكر بمرور زمن جديد من الضياع « وكانت الدقات تحوم بيننا كطلقات رصاص قاتل » ( ص ٦٤ ) .

ان حامد الشاب الفلسطيني تحرك ولتحركه معنى تحرك الفلسطيني من تردده وانتظاره ولإمبالاته . تحرك و « غادر المحطة المهجورة وتركنا على رصيفها المحطم ، نستمع الى صوت الصمت المفعم بالقربية والوحشة والمجهول يدق . يدق . يدق . . . » ( ص ٦٨ ) . ويصف غسان الانتظار وصفا صادقا أليما . وقد نقله حامد الى العدو عندما واجهه ، وهو ما تواجهه الصهيونية عندما يتحرك الفلسطينيون الى أرضهم . الانتظار ، انتظار الضربة القادمة . وعندما يتحرك الفلسطيني للعمل ضد العدو يكف عن الانتظار والتفريج فيتحول العدو الى متفرج وسيمسك الفلسطيني بزمام الموقف .

وحين تمزق مريم زكريا بسكينها الحاد ، فانها تمزق الخيانة ، والاستسلام ، فهي تقتل طلبا للحياة .

وهكذا تزداد حدة النبرة التي يتحدث بها غسان كنفاني . من دعوة الى اليقظة في « رجال في الشمس » ، الى دعوة الى التحرك ضد العدوان في « ما تبقى لكم » .

ذلك كان أدب غسان كنفاني قبل النكسة . أما بعد النكسة فلدينا كتابه « عن الرجال والبنادق » ( ٢٩ ) . وهو مكون من مجموعة قصص قصيرة بطلها واحد ، وهي تصمد قصصا قصيرة تتجاوزها ، فالاصح ان نسميها كما أسماها المؤلف لوحات . وعندما يصور كاتب فلسطيني مخلص وفنان صادق مادة قصصية بعد النكسة وبعد اشتداد الثورة الفلسطينية المسلحة ( اكتوبر ١٩٦٨ ) فان أهم مسا ينتظر منه كمقاتل بالكلمات ، هو ان يستفيد من خبرة ثوري عظيم كما تونسي تونغ الذي كتب ( ٣٠ ) : « يجب ان نجتمع المواد والحكايات المتعلقة بانتصارنا ، كما يجب ان نجتمع أسماء الوحدات والضباط والجنود الذين قاتلوا بشجاعة . وعلينا ان نستخدم هذه المواد من أجل وضع الخطوط العريضة للدعاية وتاليف الاغاني والرقصات والمسرحيات التقليدية والحديثة » . و « حين تروى القصص يجب ان نخصص الكثير من الوقت للقصص التي تتحدث عن مآثر الاقدمين

، بحمة وأعمالهم الكبرى ، وكلماتهم المتنازة وسلوكهم الباهر ، لكي نحقق انرا موحيا » .

فلنر الى أي مدى سارت المجموعة الاخيرة لفسان كنفاني فسي هذا الطريق الحتمي للادب والفن في المعركة . لقد صدرت المجموعة وقد آتت الثورة الفلسطينية المسلحة مرحلة تكوين الطلائع الثورية والتفاف الجماهير الفلسطينية من حولها ، كما كونت تنظيماتها الثورية المسلحة وفي سبيلها لتكوين التنظيم الثوري الموحد الذي يقود المواجهة الشاملة مع العدو . وأضحت المواجهة مع العدو يومية وتطورت أشكال المواجهة من البندقية القديمة الى زرع الالفام السى الصواريخ الحديثة واسقاط طائرات العدو الهليكوبتر . وقدمت الثورة نماذج عظيمة عديدة من الأبطال مثل الشهيد يغمور وهذا هو اسمه الحركي اما اسمه الحقيقي فهو محمود غانم ابو حوص ، الذي تحول من قاطع طريق الى مناضل يتحدى الموت . والمناضلة فاطمة البرناوي ( ٢٨ سنة ) التي لم يظهر لها اثر في ادبنا سوى رسائل الادبية لى بعلبكي ( في مجلة الاسبوع العربي اللبنانية ) بعنوان رسالة السى المناضلة . فاطمة البرناوي التي حكم عليها بالسجن مدى الحياة بسبب تفجير سينما صهيون . والتي اعترفت المحكمة العسكرية الاسرائيلية في اللد بصمودها مع رفاقها في مواجهة الارهاب الصهيوني . وصاحت في قضائها المجرمين « اقلوا ما شئتم .. فلن تهنا احكامكم » .

هذه البطولات الاسطورية اين مكانها من ادب غسان كنفاني ومن ادبنا العربي الحديث ؟ ان الثورة الجزائرية نجحت فسي اثاره الرأي العام العالمي بقصص المناضلات الجزائريات جميلة بوحرير وغيرها . اول ملاحظة على كتاب « عن الرجال والبنادق » ان معظم القصص يعود تاريخها الى ما قبل النكسة . وفيما عدا القصتين الاخيرتين ( من تسع قصص ومقدمة ومؤخرة ) . وقد اعترف غسان في تقديمه للكتاب بوجود لوحة ناقصة سيرسها الرجال والبنادق . ولكن الرجال يرسمون هذه اللوحة ليل نهار بالدم والعرق والرصاص . وهذه اللوحة هي التي كنا ننظرها من اديب مخلص للقضية الفلسطينية وجيد الرؤية مثل غسان كنفاني .

يبدأ غسان كنفاني بذكر كلمة الكاتب الصيني القديم سان نسي نفلا عن كتاب ليدل هارت الاستراتيجية وتاريخها في العالم ، والحكمة تقول « ان الحرب حيلة . ان الانتصار هو ان تتوقع كل شيء والا تجعل عدوك يتوقع . ثم يعبر الفنان عن الشعور بالذنب الذي يؤرقه ، الشعور بالنعممة والدفء بينما الابطال يزحفون فسي الوحل والظلام والمطر يصنعون المجد والشرف . « ترى ماذا يفعل في هذه الظروف الرجال الذين يزحفون تحت صدر العتمة لينبوا لنا شرفا نظيفا غير ملطخ بالوحل ؟ » ( ص ٧ ) ويكاد يكون مدخل الكتاب هو الوحيد الذي يدلنا على اثر النكسة في ادب غسان كنفاني . فهو يصف المخيمات بأنها خرق بالية مثل رايات هزيمة . وهو يكشف جري البورجوازية الناعمة وراء الدعاية المظاهرة واستخدام القضية كتسليية واسلوب شهرة ووصول . وارى النكسة واضحة الاثر على الفنان . انها قبضة السم . انها وحل على الوجوه . كيف يتسم الناس والوحل يغطي وجوههم . أي صدق اكثر من هذا في التعبير عن مأساة المثقف وهو يرى مواطنيه يلبون وكانهم يتناسون ما حدث ، وان ما حدث لرهيب . « أيمكن ان تكون هذه هي وجوهنا حقا ؟ كيف استطعنا ان نلظفها بهذه السرعة من الوحل الذي طرشه حزيران ( يونيو ) فوقها ؟ أصبح اننا نبتسم ؟ أصبح .. » ( ص ٩ )

فاذا ما طالعنا قصص المجموعة . « الصغير يستعير مرتبة خاله وشرق الى صفد » عنوان القصة الاولى . وهي لوحة بالأصح كما اسمها غسان ، تصور الكفاح المسلح القديم . ببندقية عتيقة بعدها المعجوز مدفعا ويعتبرها الشاب منصور صالحة لاصطياد العصافير ويعلم بسلاح حقيقي ويتفادى الدوريات الانجليزية ويلجأ الى صفد ليحاصرها ببندقية وحماسته العارمة - انها قصة من الماضي القديم ومن الكفاح القديم فيها صدق وفيها نقد . ويصف غسان كيف أضحت البندقية

ثقيلة ولا تتحمل خزانتها الا طلقة واحدة تحشى وتطلق ثم اخرى بعدها ، انها معوقة ومن متحف تاريخ السلاح . يريد منصور استعادة ببندقية خاله المعجوز ليفزو بها قلعة صفد ، وبينما يستنكر المعجوز الفزو بعشرين رصاصة يفكر منصور بأنه « لو حمل كل رجل في الجليل عشرين فشكة واتجه الى قلعة صفد لمزقناها في لحظة واحدة . » ( ص ٢٤ ) أما شقيقه قاسم فقد صار طبيبا بورجوازيا يستنكر ان يعمل في القرية مع حلاق الصحة وينتج الى المدينة النظيفة حيفا .

وتجىء اللحظة الحاسمة في القصة التاريخية عندما يفقد غسان مقارنة بين ما يفعله المثقف العربي البورجوازي بهربه من الارض ومن القرية ، ولجوء اليهود الى القرية والتزامهم على العمل فيها . كما قال ابو قاسم : « انظر الى اليهود ، حين يجيء الواحد منهم ينصرف الى العمل في القرى .. لماذا لا تفتح عيادتك في مجد الكروم ؟ » وتشير القصة بذلك الى فرار الطبيب البورجوازي بعيدا عن أرضه . ويقاء الاخ الفلاح الكادح منصور يزرع الارض ويحمل السلاح دفاعا عنها .

في القصة التالية « الدكتور قاسم يتحدث لايفا عن منصور الذي وصل الى صفد » وفي حيفا غرق الطبيب البورجوازي الشاب في ثراء المدينة ونعمتها وفي منزل اليهودية ايفا وغفل عامدا عن رؤية المدفع اليهودي المتكمن من المدينة فيصطاد العرب قتلى ايما كانوا في المدينة . وفي علاقته باليهودية ايفا كان يتجاهل القضية ويهرب السى الطعصم والاشئ . اما ايفا فانها كانت تعرف القضية وتعنيها اولا واخيرا . وبنقلات بارعة يفارن غسان كنفاني في لحظة تداعي المعاني بين ما يأكله الدكتور قاسم من زبد ومرى وبين ما يأكله شقيقه منصور من خبز اسمر خشن وزعتر جاف مع الرصاص . كان الطبيب غارقا فسي كرسية الهزاز في منزل أسرة ايفا . بينما أخذ جبل البندقية يحز فسي كنف منصور كالمنشار . ان منصور يكتشف بوعيه الفطري البسيط ، كم هي غريبة وضالة الحياة في المدن . « غريبون اهل المدن كان الامر لا يعنيه . » ( ص ٣٥ ) وهو نفس ما اكتشفه غسان في مقدمة كتابه بعد النكسة وكيف نسيها الناس بسرعة . ووجد منصور اليهود يقائلون بمدافع ذات منظار وفوق الاسطح ومن اماكن استراتيجية والعرب فسي اماكن ضيقة في متناول اليهود . ثم يسرد غسان سردا تاريخيا مباشرا بعيدا عن الفن قصة دخول اليهود الاوروبيين السى فلسطين . كان اليهود يعيشون مع العرب ويتعاملون معا في اءاء وود ويسمون بأسماء عربية ويتحدثون بالعربية ويبيعون في محلات صغيرة . الى ان جاء اليهود المهاجرون ففتحوا المحال الكبيرة وتسنروا خلفها لاعداد خطط الاستيلاء على البلاد بالسلاح والارهاب . كان الجدود العسرب ينظرون بلا مبالاة الى المحلات الكبيرة التي فتحتها الاشكيناز ، اليهود الاوروبيين، بينما تخفي هذه المحلات شحنات الاسلحة وجماعات الهاجناة الارهابية . كل شيء معد بدقة . والانجليز متواطون مع اليهود . فالانجليز يكتشفون خرايطش الصيد مع العسرب ولا يكتشفون الاسلحة الثقيلة اليهودية . الانجليز ينامون عند هجوم اليهود ويستيقظون عند تحرك العرب ويبعدونهم عن اكتشاف ما يفعله اليهود في مرتفعات المدينة وقبابها . واخيرا يعود غسان الى قصته الاصلية فيرئنا كيف استطاعت البندقية القديمة ان تعمل عملا بطوليا فسي مواجهة السلاح اليهودي والمكر اليهودي والتقدم اليهودي ، قصة مسن التاريخ القديم الحديث كتبت في فبراير ١٩٦٥ . وتتابع مسيرة منصور الشاب الفلسطيني في قصة « ابو الحسن يفوض على سيارة انجليزية » وفيها يشيد غسان كنفاني بالماضي التليد في الكفاح ضد الانجليز . ويواصل منصور مسيرته في الكفاح المسلح الفردي لان اياه في القرية واخاه مع اليهودية في حيفا . ثم في القصة التالية « الصغير وابوه والمرتبة يذهبون الى قلعة جنين » يلتقي منصور بالاب فجأة في قتال مع العدو ويموت ابوه . وتتضمن القصة نقد العمل الوطني المسلح في القديم ، كان عملا بطوليا حقا ولكنه مخطط بعقلية عشائرية متخلفة « انتهى كل شيء ، هيا بنا ، لقد كانت غزوة عشائرية لا تعرف رأسها من ذنبها ، ولكن سنتعلم . » ( ص ٨٠ ) وبهذه القصة ينتهي القسم الاول عن زمن الحرب . امسا



## الهوامش :

- (١) هوشي منه - مختارات حرب التحرير الفيتنامية - ترجمة منير شفيق - نشر دار الطليعة ببيروت - الطبعة الثانية ابريل ١٩٦٨ - ص ٢٤٨ .
- (٢) جيفارا - سيرته وكتاباتاته الجديدة - ترجمة حسن فخر - نشر دار الاتحاد ببيروت - الطبعة الاولى مارس ١٩٦٨ ص ٦٢ .
- (٣) الثورة الفلسطينية ، العدد السابع - يونيو ١٩٦٨ .
- (٤) ادوارد كارديلي - في النقد الاجتماعي - ترجمة احمد فؤاد بلع - نشر دار المعارف بمصر - الطبعة الاولى ١٩٦٨ ص ٤٨ .
- (٥) مجلة الكتاب العربي ، عدد مايو ١٩٦٧ .
- (٦) أدب المقاومة في فلسطين المحتلة ، غسان كنفاني - نشر دار الآداب ببيروت - ١٩٦٦ .
- (٧) في الأدب الصهيوني - غسان كنفاني - دراسات فلسطينية ( ٢٢ ) - نوفمبر ١٩٦٧ .
- (٨) مجلة الثورة الفلسطينية العدد الحادي عشر - سبتمبر ١٩٦٨ .
- (٩) الأهرام - عدد ٣١ ديسمبر ١٩٦٨ .
- (١٠) الثورة الفلسطينية - عدد ٦ سبتمبر ١٩٦٨ .
- (١١) المرجع السابق .
- (١٢) هوشي منه - مختارات حرب التحرير الفيتنامية - ص ٢٤٣ .
- (١٣) الدكتور صلاح العقاد - قضية فلسطين المرحلة الحرجة (١٩٤٥ - ١٩٥٦) نشر معهد الدراسات العربية - الطبعة الاولى ١٩٦٨ ، راجع ص ٤٩ وما بعدها .
- (١٤) انظر رواية المحادثة التليفونية بين الفاوقجي والحسيني عندما طلب الاخير اسلحة من الاول فرفض امداده بها ، تكشف اليهود الموقف بتسميمهم هذه الكالمة وتسبب ذلك في هجومهم المفاجيء وسقوط القسطل - المرجع السابق ص ٧٢ .
- (١٥) راجع مقالني عن الكتاب - مجلة الآداب عدد فبراير ١٩٦٦ .
- (١٦) صبحي ياسين - الثورة العربية الكبرى في فلسطين - دار الكتاب العربي - الطبعة الثانية يوليو ١٩٦٧ ، راجع ص ٢٥ و ٢٧ و ٢٨ .
- (١٧) انظر الفصل الخاص بالانحراف الايديولوجي فسي كتاب الدكتور نديم البيطار « من النكسة .. الى الثورة » نشر دار الطليعة ببيروت - ١٩٦٨ - ص ١٥٢ وما بعدها .
- (١٨) صبحي ياسين - حرب العصابات في فلسطين - نشر دار الكتاب العربي بالقاهرة - الطبعة الاولى ١٩٦٧ ، ص ٥٩ .
- (١٩) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .
- (٢٠) انظر مثلا قصة اتصال الفاوقجي بالمخابرات البريطانية في كتاب صبحي ياسين « حرب العصابات في فلسطين » ص ١٦٦ .
- (٢١) من النكسة الى الثورة ، ص ٢١٤ .
- (٢٢) عباس خضر - أدب المقاومة - المكتبة الثقافية ( العدد ٢٠٤ ) أغسطس ١٩٦٨ ، ص ١٤ و ١٥ .
- (٢٣) نزار قباني - هوامش على دفتر النكسة - منشورات نزار قباني - الطبعة الثانية اكتوبر ١٩٦٧ .
- (٢٤) مجلة الآداب - عدد يونيو ١٩٦٨ .
- (٢٥) مجلة الادب الافريقي الآسيوي - الكتب الدائم للكتاب الآسيويين - العدد ٢ و ٣ المجلد الاول صيف ١٩٦٨ .
- (٢٦) غسان كنفاني - أدب المقاومة في فلسطين المحتلة .
- (٢٧) غسان كنفاني - رجال فسي الشمس - نشر دار الطليعة ببيروت - الطبعة الاولى ١٩٦٣ .
- (٢٨) غسان كنفاني - ما تبقى لكم - نشر دار الطليعة ببيروت - الطبعة الاولى سبتمبر ١٩٦٦ .
- (٢٩) غسان كنفاني - عن الرجال والبنادق - نشر دار الآداب ببيروت - الطبعة الاولى اكتوبر ١٩٦٨ .
- (٣٠) ماونسي تونج - حرب العصابات - ترجمة ناجسي علوش - نشر دار الطليعة ببيروت - الطبعة الثانية يونيو ١٩٦٨ - ص ١٢٥ و ١٤١ .

القسم الثاني من الكتاب فهو زمن الاشتباك كما يقول غسان كنفاني ، الاشتباك مع فقر الحياة ، مع الجوع والعري . وهو اقصى فسي رأي المؤلف . فالحرب هدنة . اما في الاشتباك فلا هدنة ولا راحة . قتال مستمر مع الحياة المرة . ويصف حياة الفلسطينيين بعد النكبة بانها قتال مستمر ، اشتباك لاهت ، قتال عنيف في سبيل الطعام الذي يلهي الانسان عن كل ما عداه « انت لا تعرف كيف يمر المقاتل بين ظفقتين طول نهاره . كان عصام يندفع كالسهم ليخطف رأس ملفوف ممزق او حزمة بصل . » ( ص ٩٢ ) وهي قصة حديثة فتاريخها مارس ١٩٦٧ بينما قصص المجموعة الاولى تعود تاريخا الى سنة ١٩٦٥ . وقصصنا هذه تصور حالة الفقر والضياع التي غرق فيها الفلسطينيون بعد النكبة .

ونفخ الى القصتين الاخيرتين من المجموعة لانهما كتبنا بعد النكسة - فبراير ١٩٦٨ . الاولى « صديق سليمان يتعلم اشياء كثيرة في ليلة واحدة » تحض الفلسطينيين جميعا على ان يكونوا ثوارا وفدائيين لانه لم يعد هناك امان لهم سواء سكتوا ام حاربوا فمنازلهم تحطمها الغام العدو انتقاما لاي شيء . وعرف بطل القصة انه لا بد من حمل السلاح لانه لم يعد هناك امان حتى في ظل الاستكانة . عندما فكر بطل القصة ببطء في كل شيء استنبهه الضابط من صفوف الفدائيين فوقع اسيرا لاهانات جنود العدو الاسرائيلي . وحين يفخر الجندي الاسرائيلي بمقدرته العسكرية يجيبه فكره الداخلي بأنه سيجيء دور الفلسطينيين ويتغلبون عليهم قتالا . وفكر : « ذلك لانكم تأخذون وقتكم . انظروا حتى تأخذ وقتنا . » ( ص ١١٩ ) وحين رفضه معسكر الابطال الفدائيين جلس الى جوار أمه فسخر منه جندي العدو بأنه صبي أمه . ولما أفلت من انهم العدو ، صدمته اجابة أمه بأنه بريء .

اما القصة الاخيرة « حامد يكف عن سماع قصص الأعمام » فهي تحكي ايضا ومباشرة ما تريد كما فعلت القصة السابقة . وفيها يمزق غسان استكانة الاجيال السابقة من الفلسطينيين للنكبة . كما يمزق حكمة الكبار والأعمام . عندما يفجر الفدائي حامد دبابة للعدو فيفتسد سمعه ويكف عن سماع الحكم القديمة . ولم يعد يسمع سوى اصوات الانفجارات . ولم يعد يهتم للعدو ووقع اقدامه الثقيلة في الشوارع .

« خيمة عن خيمة لا تفرق » ملاحظة الختام . بهذه الكلمات البسيطة التي تنطقها الام عندما تكتشف ذهاب ابنها للحاق بالفدائيين متمنية ان تلحق بهم لتعمل شيئا من اجلهم ، تطبخ طعاما او تحول ثيابا في خيمة اخرى من الخيام الكثيرة . وهي لسن تخر شيئا سوى الخيمة . والخيمة موجودة في كل مكان لانها الحد الأدنى لاي حياة انسانية . لن يخسر الفلسطينيون شيئا سوى خيامهم البالية ، سوى قيودهم واوتادهم . فيا ايها الفلسطينيون من أجل حرب التحرير . هبوا من نوم عشرين عاما في الاعتماد على الغير حتى ضاعت القضية الفلسطينية وضعتن او كتمت تضيعون . هذا هو محتوى آخر لوحات كتاب « عن الرجال والبنادق » لغسان كنفاني .

وفي رأيي ان المعركة كانت تستحق وتنتظر من شادها ما هو اكثر من مجموعة « عن الرجال والبنادق » .

ان قصص البطولة تصنع بالدم والرصاص ليل نهار ، ان العالم يتابع ثورتنا الفلسطينية المسلحة العظيمة بدهشة وانهار ، ان الاديب مطالب بان يصاحب ما يجري على الارض المحتلة بالرواية والانشاد ، مطالب بان يخاطب جماهيرنا العربية كي يشدها السى العمل الثوري المسلح ، الى الوجه العربي المشرق في ثورتنا الجديدة . الاديب مطالب ايضا بان يدلي الى العالم بدلوه - حقا ان الفن تفضيه المباشرة وهذا واضح في مجموعة « عن الرجال والبنادق » ، ولكن اولوية التفني بالمعركة تغطي على ما عداها . وهذا كله اقوله ليقيني بان غسان كنفاني فنان فلسطيني مخلص وصادق . وقد تنوعت موضوعاته ولكنها كلها تصب في اطار القضية الفلسطينية ، وتنوعت كتبه من الدعوة السى اليقظة في « رجال في الشمس » الى الدعوة الى التحرك ضد العدو في « ما تبقى لكم » الى نداء النضال في « عن الرجال والبنادق » .

أحمد محمد عطية  
القاهرة